الفصل الثالث

خطوات في طريق الهجرة

أولاً : الإيمان .

ثانيًا: الأخلاق .

ثالثًا: التوبة .

رابعًا : التقوى .

خامسًا: الصبر .

سادسًا: التوكل والثقة بالله .

سابعًا: الدعاء.

أولاً: الإيمان:

إن الإيمان هو أول خطوة في طريق الهجرة إلى الله تعالى، وليست هناك هجرة إليه تعالى بدون إيمان، فالإيمان بالله تعالى يعدُّ المعرفة الحقيقية به ﷻ كما يجب أن تكون:

ودعونا الآن نتجول في حديقة الإيمان ونرى كيف يمكن تحقيق هذه الهجرة. إن الإيمان مهم؛ لأنه يحدد مصير الإنسان إلى أي الدارين يصير، أيكون في دار النعيم، أم دار الجحيم هي مأواه .. وهل يسير على طريق الرشاد، أم على طريق الضلال خطاه، إن الحياة دار امتحان واختبار، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك: ٢) .

لذلك يجب علينا أن نركز عنايتنا على أساس الدين، وهو العقيدة الصحيحة؛ لأنه من العمل الصالح، ولهذا كانت السور القرآنية المكيَّة تدور في مجملها حول ترسيخ العقيدة، وبعد أن اكتمل فهم العقيدة فهمًا صحيحًا، جاءت السور القرآنية المدنيَّة، والتي تدور في معظمها حول الشرائع والعبادات.

ولتعلم أخي الحبيب أن الذي يُمَيِّزُك بين الأمم جميعها هو العقيدة؛ ولهذا سأبدأ معك، والله أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، هذه الشهادة العالية الثمينة الغالية التي تنجيك وتخلصك من الظلمات إلى النور، ومن الجحيم إلى النعيم، ومن الأغلال إلى الأرائك، ومن الزقوم والسموم إلى ملاعبة الحور .

الإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه ﷻ من يستحق وحده أن يتفرد بالعبادة: مِن صلاة، وصيام، ودعاء، ورجاء، وخوف، وذل، وخضوع، وأنه ﷻ المتصف بصفات الكمال كلها، المنزَّه عن كل نقص وعيب .

أنواع التوحيد: التوحيد ثلاثة أنواع، ولا يصح إيمان العبد إلا بها ، وهي:

١- **توحيد الربوبية:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء، ولا رب غيره. تقول العرب: أنا رب الدار، أي : القائم بشئونها، والله تعالى هو رب العالمين، أي: القائم بشئون خلقه: «من خلق، ورزق، وإحياء، وإماتة» .

٢- **توحيد الألوهية:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده ﷻ بالعبادة، وأن الله تعالى هو الذي يُخْلِص له المؤمن في تعبده، وخوفه، ورجائه، وطاعته، وتوكله، واحتكامه، ودعائه، وهذا هو التوحيد الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يؤمن به كان من المشركين. وهذا هو التوحيد الذي جاء به الرسل من عند الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

يقر المشركون بتوحيد الربوبية، ولكنهم ينكرون توحيد الألوهية، فأكثر العباد لا ينكرون الخالق، وربوبيته على الخلق، ولكن كفرهم يأتي من عبادتهم لغير الله ﷻ، حيث يكون دعاؤهم، واستعانتهم، واحتكامهم، وطاعتهم لغير الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف:٨٧).

أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعًا، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون من لا يملك شيئًا، ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل، وسفاهة العقل .

٣- **توحيد الأسماء والصفات:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو المتصف بجميع صفات الكمال، وهو المنزه عن جميع صفات النقص من غير تشبيه، فمن شبه الله بخلقه كَفَر ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١)، ومن غير تعطيل؛ أي: جحود، أو نفي لما وصف الله تعالى به نفسه، أو بما وصفه رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فقد كفر: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)؛ فلا يجوز السؤال عن كيفية الصفات؛ لأن الله ﷻ لا يُسْأل عن كنهه - جل في علاه - فكذلك صفاته لا يصح السؤال عن كيفيتها،

وعندما سُئِلَ الإمام مالك رحمه الله عن قوله سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥) قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1] فالله ﷻ له سمع وبصر، وكلام ونزول، واستواء يليق بجلاله وذاته العلية ... ﷻ.

وضرب العلماء لذلك مثالاً - ولله المثل الأعلى - : النملة لها عين ولنا عين، فلا يلزم أن تكون أعيننا مثل عين النملة؛ لأن النملة لها عين تليق بها، ونحن لنا عين تليق بنا .

والصفات نوعان:

ذاتيـــة: وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ مثل: العلم، والحياة، والقدرة والسمع.

صفات العمل: وهي ما تعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته، مثل: النزول، والسخط، والرضى .

إذن يجب على المسلم أن يعايش توحيد الأسماء والصفات؛ لأنه من أهم الأقسام التي يحتاجها المؤمن أثناء رحلته إلى الله ﷻ.

وبعد أن تعرفنا معًا على التوحيد وأقسامه التي يجب على المؤمن أن يعتقدها، ننتقل إلى دلائل وجود الله ﷻ.

١- الفطرة: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: ٣٠)، وقال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[2] وقال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

---

(١) أصول الإيمان (١ / ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز ، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ رقم ١٣٥٨.

٢- دقة الخلق (الصنع): تدل على عظمة الخالق (الصانع)، وفي كتاب الله تعالى دعوة إلى النظر والتفكر في بدائع صنع الله سبحانه: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١) ، ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران:١٩٠)، ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ ﴾ (الأنعام: ٩٩)، ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ (النحل:٦٦).

ووضع العلماء فروضًا ثلاثًا , وناقشوها :

أ - أن الكون وُجِدَ مصادفة ، ورد العلماء عليها : بأن ما جرى مصادفة لا يتكرر حدوثه بانتظام، وهذا ما لا يحدث في الكون؛ مما يدل على أن وراء هذا الكون خالقًا حكيمًا .

ب- أن تكون نشأة هذا الكون من العدم، وفاقد الشيء لا يعطيه ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥) أي: هل وجِدُوا من غير خالق؟ أم خلقوا أنفسهم بأنفسهم، فلا يحتاجون إلى أحد يخلقهم، وبالطبع هذا يستحيل .

ج-أن يكون لهذا الكون خالق حكيم، وهذا ما قال به العلماء من قبل؛ ولذلك يقول سقراط: "أي الصناع أولى بالإعجاب، الذي خلق صورًا بلا عقل ولا حراك، أم الذي يبدع كائنات ذات عقل وحياة؟!"

٣- انخلاع القلب إلى الله ﷻ عند الشدائد: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (يونس: ٢٢). وعندما سُئِلَ أحد العارفين عن دليل وجود الله، قال: "أرأيت لو كنت في صحراء فسقطت في بئر، ولا تجد من ينجدك فماذا تقول؟ قال: أقول يا الله .. يا الله، قال:

هذا دليل وجوده؛ ولكنها مغالطة الملاحدة لفطرتهم، وادعاؤهم للعقلانية ولا عقل.

٤- التقدم في مجالات المعرفة والعلوم : حيث أدركنا أن هنالك عوالم كثيرة لا علم لنا بها، وهي موجودة ، مثل: الجراثيم، والبكتريا؛ ولكن قصورنا العلمي جعلنا في جهالة عن معرفتها قرونًا طوالا، ومن أدق الأمثلة على هذا: المغناطيس، والكهرباء حيث ننتفع بها، ولا نعلم شيئًا عن كُنهها، إذن فإن معرفة حقائق الأشياء لا يفيدنا شيئًا، ويكفي أن نعرف من خواصها ما يعود بالفائدة علينا، فما بالك بذات الله ﷻ - ولله المثل الأعلى- فهي أكبر من أن يحيط بها إنسان، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ ﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩) .

٥- صدق المخبر يدل على صدق الخبر: فالذي أخبرنا عن الله ﷻ رُسُل وأنبياء كرام، وهم صفوة الخلق، وأطهرهم قلوبًا وأزكاهم نفوسًا، وأحسنهم خلقًا؛ لذا عندما صدع الرسول الكريم بدعوته، ووقف على الصفا، ونادى القبائل بأسمائها، فلما اجتمعوا قال: «أَرَأَيْتُم إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، وَقَدْ تَبَّ هَكَذَا قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ»[1]. فهم أمام الجبل لا يرون، ولا يعرفون ما خلفه، ولكن ثقتهم بمن أخبرهم، وصدقه، وأمانته؛ تلزمهم أن يؤمنوا بالخبر ويصدقوا به، وكذا تواتر الخبر عبر أجيال مضت، ولم يعرف عن أمة الإلحاد منذ بدء الخليقة، وإنما كانت نشأة الإلحاد في أوربا؛ بسبب موقف الكنيسة من العلماء التجريبيين والباحثين الذين اكتشفوا حقائق تخالف ما تبنته الكنيسة من "أكاذيب" فرضتها على الناس قسرًا يوم كان للكنيسة سلطان. فصار

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن الكريم ، باب قوله " فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا"، رقم (٤٩٧١).

الناس بين أمرين كلاهما شر، إما أن يؤمنوا بالكنيسة وخرافاتها، وإما أن يؤمنوا بالعلم ويكفروا بالكنيسة، والتي كانت تمثل الدين كذبًا، فلما زال سلطان الكنيسة، وجاءت الثورة الصناعية، عَمَّت الفوضى في عقائد الناس، بل وكان شعار المتظاهرين آنذاك " لِيُشْنَقَ آخر دَوْقٍ بأمعاء آخر قِسْيس"، فالكنيسة كانت سيفًا ظالمًا بيد الحكام على رقاب الناس، فجمعت بين السوءتين: الظلم والجهل، فكانت نشأة الإلحاد .

٦- المادة ليست هي الشيء الملموس في بعض أنواعها. إنما هي غيب مثل: الجاذبية، والكهرباء، وكذلك مكونات النفس الإنسانية من روح، وعقل، وضمير، وذاكرة، ويقول العلماء أيضًا "إن الكامل المطلق: هو الله ﷻ يُعْرَفُ ولا يحاط به" فتوقف الإقرار على الرؤية، والإحاطة ضلال، فالصغير لا يحيط بالكبير، والناقص لا يحيط بالكامل، والمحدود لا يحيط باللامتناهي، وهكذا فلا يمكن للإنسان أن يحيط بالله؛ لقصور الإنسان، وكمال الله ﷻ؛ ولذا قيل : العجز عن إدراك الذات إدراك .

وعندما سأل موسى عليه السلام ربه رؤيته ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (الأعراف: ١٤٣). وفيه إشارة إلى أن الخالق لم يحجب نفسه عن المخلوق، بل إن نقص المخلوق هو الذي حجبه عن الرؤية حيث لم يقل - جل شأنه - : لا تراني. ثم تأمل في تمام الآية: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ (الأعراف: ١٤٣) فالجبل في تركيبته أقوى من الإنسان وأصلب؛ فإذا قوي على الرؤية فسوف تراني، فإذا بالجبل يتهاوى ، وموسى أكرم على الله تعالى من الجبل - فكيف يتجلى للجبل وهو جماد ولا يتجلى لنبي كريم. ولكن يوم القيامة تكون طبيعة العباد وخلقهم على سمت وبناء جديد؛ لذا قال تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣). وجاء في الحديث الشريف، عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[1].

ونتقل إلى جانب آخر مهم، وهو حق الله تعالى على عباده "التوحيد" الخالص له ﷻ وحده : وذلك بأن تعتقد :

أن الله وحده هو الخالق، وأن كل ما عداه فهو مخلوق: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الزمر: ٦٢)، وأن كل ماعداه عبدٌ له ﷻ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾ (مريم: ٩٣).

وذلك بأن تعتقد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، ولو كان وراء الكون أكثر من خالق لاضطرب نظامه، واختل ميزانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

ويقول أحد العلماء : لو قُدِّرَ تعدد الإله؛ لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق غاية الكمال: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ﴾ (الملك: ٣)، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر ، فيعلو بعضهم على بعض، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

إن إفراد الله ﷻ وحده بالعبادة (الصلاة، والصوم، والذبح، والحج، والدعاء، والسؤال): ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). أو كما روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، رقم ٥٥٤.

بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١).

ليس هناك حجاب بين الله تعالى وبين خلقه، فعلاقة العبد بالله ﷻ علاقة مباشرة، فليس أقرب للعبد من الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وجوب إخلاص المحبة لله ﷻ وحده : وذلك بأن تقدم محبة الله تعالى على كل ماعداه، وأن تضحي بكل حب في سبيل الله تعالى إذا تعارض بينه وبين ما يقضيه حبك لله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤).

وجوب التلقي عن الله وحده في الشرائع القانونية بالمنهج الذي بلغنا عن رسول الله صلوات الله عليه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

وجوب تعظيم الله ﷻ والحياء منه، ومخافته، ورجائه، وكثرة ذكره، وحسن الظن به، والتمسك بعروته الوثقى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥) .

ثانيًا : الإخــلاص:

إن المهاجر قبل أن يبدأ هجرته لا بد له أولاً من أن يحقق نيته، ومقصده من هذه الهجرة، أهي لله خالصة ذات أهداف عالية، وغايات سامية؟ أم تكون الهجرة هجرة زائفة إلى دنيا قذرة وريح نتنة ، ولهذا كانت الخطوة الأولى في طريق المهاجر أن يحدد هدفه من نقطة البداية؛ ولهذا بدأنا هذه الخطوات

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه رقم ٢٥١٦ .

المباركة بخطوة الإخلاص، فقال بعض السلف : "ما من فعلة وإن صغرت إلا ونشر لها ديوانان : لم؟ ، وكيف؟ أي : لم فعلت هذا الفعل؟ وهل أردت به وجه الله ﷻ وحده أم أشركت معه غيره؟ وكيف فعلت هذا الفعل؟ وهل هو مطابق لسنة النبي ﷺ؟ أم هو من البدع المحدثات؟ وكل بدعة ضلالة: فيشترط لقبول العمل شرطان: الشرط الأول: الإخلاص، والشرط الثاني: متابعة سنة النبي ﷺ وذل على هذين الشرطين قوله ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف: ١١٠)؛ ولهذا فالعمل الصالح هو العمل الموافق لسنة النبي ﷺ وقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ أي : يكون هذا العمل صادرًا عن إخلاص، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (النساء: ١٢٥)، فإسلام الوجه لله تعالى: هو إخلاص القصد والنية، والإحسان، وهو متابعة سنة النبي ﷺ ، وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: ٢)، ولم يقل الله ﷻ: أكثر عملاً، بل قال: "أحسن عملاً" فالامتحان يكون في حسن العمل، وليس في كثرته، قال "الفضيل بن عياض" في شروط قبول العمل ، قال " أخلصه وأصوبه، قيل: وما ذاك؟ قال: العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة"(١) ، فهذان شرطان لقبول أي عمل فينبغي للعبد أن يوفر هذين الشرطين (الإخلاص، والمتابعة) .

شـــرط الإخـــلاص:

قيل في تعريف الإخلاص : هو إفراد الله ﷻ بالقصد في العبادة، أي: أن يعمل العبد العمل لا يريد به إلا وجه الله ﷻ ، وقيل : هو تجريد قصد التقرب إلى الله ﷻ من جميع الشوائب، وقيل: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، وهذه معاني الإخلاص، وقد يظن ظانٌّ أن الإخلاص أمر يسير يتيسر

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣٩٤) .

لكل عبد في كل حال، في حين أن العلماء يقولون: (تخليص النيَّات على العمال أشق عليهم من جميع الأعمال) ، وقول العلماء في الإخلاص كثير: قال يعقوب: "المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته"، قال السوسى: "الإخلاص فَقْدُ رؤية الإخلاص، فإن مَنْ شاهد فى إخلاصه الإخلاص فَقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص". وما ذكر إشارة إلى تصفية العمل من العُجْب بالفعل، فإن الالتفات إلى الإخلاص، والنظر إليه عجب، وهو من جملة الآفات، والخالص ما صفا عن جميع الآفات. وقال أيوب: " تخليص النيات على العُمّال أشد عليهم من جميع الأعمال". وقال بعضهم: "إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكنّ الإخلاص عزيزٌ".

وقيل لسهل: أى شىء أشد على النفس؟ قال: "الإخلاص،إذ ليس لها فيه نصيب ".

وقال الفُضَيْل: "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعملُ من أجل الناس شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما "[1].

فالنفس تحب الظهور، والمدح، والرئاسة، وَزُيِّنَت لها الشهوات من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث.

وحتى يتيسر للعابد الإخلاص، وتختم به أعماله؛ ينبغي عليه أن يقطع حب الدنيا من قلبه، وأن يملأه بحب الله ﷻ ، فيكون المحرك له من داخله هو محبة الله ﷻ، وإرادة الدار الآخرة، فعند ذلك يتيسر عليه الإخلاص، وأما غيره ، فباب الإخلاص عليه مسدود إلا في النادر ، قال ابن عمر ﷺ : «لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم ؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل الله، إنما يتقبل الله من المتقين» [2] ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧).

---

(١) تزكية النفوس (١ / ١٠)

(٢) صفة الصفوة (١ / ١٣٠) .

فالإخلاص من أشد الأشياء على النفس، وقال ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣)، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥)، ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر: ٣)، أي: لا يقبل الله ﷻ إلا الدين الخالص، وجاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ لَا شَيْءَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ الله لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١)، وقال أيضًا: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(٢).

أي: أن العمل مهما كان موافقًا للسنة فإنه لا يقبل إلا بالنية الصالحة، وشرط قبوله: «إنما الأعمال بالنيات» يخص الطاعات فبالنية الصالحة يمكن للعبد أن يتاجر مع الله ﷻ، فالنية الصالحة ترفع رتبة المباح؛ فتجعله من القربات والطاعات، ولكن لا تقوى النية الصالحة على أن تقلب البدعة سنة، أو تقلب المعصية طاعة، وهذا الشرط الأول من شرطي قبول العمل، وهو الإخلاص.

الشرط الثاني: متابعة سنة النبي ﷺ:

إذا أردت الإخلاص أيها المخلوق فعليك، أن تتبع الركن الثاني من الوحي الرباني ألا وهو سنة الرسول الكريم ﷺ فعن عَائِشَة، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (٣).

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الجهاد، باب: من غزا يلتمس الأجر، رقم (٣١٤٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: بدء الوحي، رقم (١).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

فكل عمل لا يندرج تحت الشريعة، ولا تكون شريعة النبي ﷺ حاكمة عليه بالصحة، فهو مردود على فاعله وغير مقبول:

فعن عبدالله ﷺ «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ »[1] وعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[2].

وقال ﷺ أيضًا عن عبد الله أن رسول الله ﷺ، قال: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[3]، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ»[4]؛ لأن السُّنَّةَ مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، وقال أحد العلماء: ادعى أناس محبة الله ﷻ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١). إذا سلك العبد طريق العبادة يجب أن يُوَفَّق إلى صاحب سنة، يحمله على سنة النبي؛ لأن العبد في طريق تعبده يكون فارغ القلب ليس عنده علم يكشف له حقائق الأمور، ويميز به بين الحق والباطل، وبين البدعة والسنة، فإذا وفق لصاحب سنة حمله على السنة، وقد يوفق لغير ذلك، فيحمل على غير ذلك، كما قال بعضهم :

أتاني هَواهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى ... فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا [5]

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في السنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦).
(٣) أخرجه الدارمي في سننه ، المقدمة، باب: في كراهية أخذ الرأي، رقم (٢١١).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، المقدمة، باب: اتباع السنة، رقم (٩٧).
(٥) البيت لـ (مجنون بني عامر) .

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِإِصَابَةِ السُّنَّةِ»(١).

وقال الحسن البصري: «سُنَّتُكُمْ والَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ بَيْنَهُمَا بَيْنَ الْغَالِى وَالْجَافِى، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ الله ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُ النَّاسِ فِيمَا بَقِىَ ، الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الإِتْرَافِ فِى إِتْرَافِهِمْ، وَلاَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِى بِدَعِهِمْ ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ ، فَكَذَلِكُمْ إِنْ شَاءَ الله فَكُونُوا»(٢). وقد بشر النبي ﷺ ببقاء طائفة ظاهرة على الحق ترفع راية السنة، وتقيم الحجة على سائر الخلق، فقال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله.. وهم كذلك فلا يأتي على أمة النبي ﷺ زمان تحرف فيه الكتب، ويضل الناس، ويضيع الحق في الأمة كما أتى على اليهود والنصارى، بل لا بد أن تبقى طائفة متمسكة بالسنة، ترفع رايتها وتقيم الحجة على سائر أهل زمانها، حتى يأتي أمر الله تعالى، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الكتاب والسنة، وأن يوفقنا لما يرضى.

ثالثا: التوبة:

إن المهاجر إلى الله ﷻ لا بد له من بداية بعد أن أخلص نيَّته لله ﷻ وهو مؤمن. وهذه البداية هي التوبة والفرار إلى الله، وهذه الخطوة تلازم المهاجر أينما ذهب وهاجر .

إن التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى، والتوبة واجبة على كل مسلم من ذنب صغيرا كان أو كبيرا، ودل على ذلك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك إجماع أهل العلم.

ويقول الحق جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣-٥٤).

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٣١٥).
(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١ / ٢٤٤).

ويأمر الله ﷻ المؤمنين بالتوبة النصوح الخالصة، حتى ينجيهم الله تعالى من سوء أعمالهم، ويكفر عنهم سيئاتهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم: ٨).

ويقول الحق جل وعلا: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١)، ليس هذا فحسب، وإنما وردت أحاديث كثيرة تحث المؤمنين على التوبة: كما ورد عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، فَحَدَّثَنِي فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَوْ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى الله وَأَسْتَغْفِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1]، وفي رواية الإمام البخاري، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «والله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[2].

وهنا أمر يجب الوقوف عليه، لماذا يتوب الرسول ﷺ ويستغفر، وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صلى الله على المعصوم نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا، ولقد أجاب الرسول ﷺ بأنه يريد أن يكون عبدًا شكورًا، فعن الْمُغِيرَةَ ﷺ، يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ - أَوْ سَاقَاهُ - فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» [3] ، كما أن الله ﷻ يحب التوابين التائبين والمتطهرين.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، مسند الأنصار ، باب: حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ ، رقم (٢٣٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ، رقم (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: قيام النبي ﷺ ، رقم (١١٣٠).

وكثيرًا ما أقف متفكرًا متأملاً في رب الكون والسماوات، الودود الكريم الذي يتودد إلى عباده، والذي يقول في الحديث القدسي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: إِنِّي وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي»(١).

وهناك أيضًا أحاديث كثيرة ترقق القلوب إلى خالقها محبةً وذلةً واشتياقًا إلى غفران العزيز الوهاب.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(٢).

إن الله ﷻ لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وبالرغم من ذلك من تاب إلى الله جل وعلا ؛ تاب الله عليه، وفرح الله بتوبته، وعودته، ورجوعه، وهو

---

(١) أخرجه البيهقي في شعبه (٦/ ٢١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٧٧).

من قال في حديثه القدسي ﷺ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ «الله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْتَيْقِظُ عَلَى بَعِيرِهِ أضله بأرض فلاة» (١) .

فهيا أيها الحبيب بادر بالتوبة إلى خالقك، وقاضي حوائجك، يا من أسرفت على نفسك بالذنوب والمعاصي، ها هي أبواب التوبة مفتحة، يا من غرك طول الأمل، أبشر أن الله ﷻ سيتوب عليك.

ولقد ورد من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢) .

إذن أيها العاصي لا تقنط من رحمة الله الكريم، فإن الله ﷻ لا تضره معصيتك، ولا تنفعه طاعتك، إن الله هو الغني الكريم، فيدعوك ألا تقنط من رحمته، وأبشر بفرح الله تعالى بتوبتك .

وفي الحديث القدسي الشريف عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال فيما يروي عن رب العزة جل وعلا: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١).

إن الله أرحم بك من نفسك التي بين جنبيك، فيا ترى هل ستعيش طويلاً أم تلاقى ربك قريبًا، ولتعلم أنك موحد لله - جل وعلا - مهما بلغت ذنوبك وتبت إلى الله - جلا وعلا- تاب عليك.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ التَّوْبَةِ فِي أَوْقَاتِهِ وَأَسْبَابِهِ ، رقم الحديث ٦١٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب، رقم (٢٧٥٩).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه)، رقم (٧٤٠٥) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨) ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١١٦).

ولكن أخي الكريم ؛ لكي تتم توبتك يجب أن تمر بعدة خطوات، وإلا فأنت ما زلت على ظلمك لنفسك، وجهلك بالله تعالى، وهي :

١ - أن تقلع عن الذنب والمعصية .

٢- الندم على فعل المعاصي والذنوب .

٣- أن ترد الحقوق إلى أصحابها؛ إذا كانت هناك مظالم.

إذن فإن التوبة من أهم الخطوات التي تذهب بك إلى الله ﷻ في سلام وأمان.

رابعًا: الصبر .

إن الحياة رحلة سفر؛ وإن السفر قطعة من العذاب، والإنسان المسافر يهيئ نفسه لهذه المشاق، فعندما يخرج الإنسان من بيته إلى عمله؛ فإنه يَعُدُّ نفسه لذلك، أي: إن الإنسان يعد نفسه لما هو ذاهب إليه.

ولا بد للإنسان أن يكون صابرًا على متاعب هذه الحياة، ولأجل هذا نقول: (من جاوز قناطر الفتن فإنه يصل إلى خزائن المنن).

والإنسان إذا أراد أن يصل إلى رحمة الله تعالى وعطائه في الدنيا والآخرة، لا بد وأن يبتلى ويختبر، ولا بد وأن يُمَحَّصَ الحديد الصلب، فلا يكون صلبًا إلا إذا احترق؛ أي: وضع في درجة حرارة عالية؛ حتى يكون فولاذيًا، وأنت لكى تكون فولاذيَ الإيمان صلبًا؛ لا بد وأن تمر بعدة مراحل، وهي مراحل الإيمان كما قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ (آل عمران: ١٤٦، ١٤٧)، أي: إن كثيرًا من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لما نزل بهم من جروح ، أو قتل ؛ لأن ذلك في سبيل إعلاء كلمة ربهم ، وما عجزوا ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم، والله يحب الصابرين، وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا من تجاوز في أمر ديننا، وثبت أقدامنا حتى لا نفر من قتال عدونا، وانصرنا على من جحد بوحدانيتك ونبوة أنبيائك.

ما النتيجة ؟

قال تعالى: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، فأعطى الله تعالى أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبالتمكين لهم في الأرض، وبالجزاء الحسن العظيم في الآخرة، وهذا الجزاء هو جنات النعيم، والله يحب كل من أحسن عبادته لربه، ومعاملته لخلقه.

أي: لا تُرْفَعُ في هذه الدنيا إلا إذا كنت صابرًا على جميع الفتن التي تأتى إليك: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، ولأجل هذا نقول: "من جاوز قناطر الفتن وصل إلى خزائن المنن" أي: خزائن التوفيق والعطاء.

والنصر من الله تعالى لا يأتى لأمة ضعيفة أو مستكينة ، وإنما لا بد أن تعيش حالة من الثبات القلبي، وألا تكون منزعجًا أو مضطربًا على كل ما سيجرى لك؛ لأن ما سيجرى هو مرحلة إعداد لما هو أهم من هذا لأجل هذا قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت : ٢) ، أي : أظن الناس إذ قالوا : آمنا، أن الله ﷻ يتركهم بلا ابتلاء ولا اختبار؟

لأجل هذا فإن المسافر في رحلة الحياة يصبر نفسه على كل ما سيجرى عليه في هذه الرحلة؛ لأنها رحلة سفر من تدبير الله ﷻ، وهو الذي يتولى أمرك، فلا بد وأن تكون منتظرًا للفرج فما عُبِدَ الله تعالى بشيء أحب إليه من انتظار الفرج .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وهذه أوامر من الله ﷻ؛ لأن نصبر ونكون مع الصابرين، ولهذا يجب علينا الوقوف على معنى الصبر ومراده حتى نصبر كما ينبغى، وفيما يرضى الله ﷻ، فالصبر لغة: الحبس، وشرعًا: حبس النفس عن ثلاثة أمور: الأول: معصية الله ، والثانى: عن محارم الله ، والثالث: السخط بأقدار الله ، وهذه الأنواع كما ذكرها أهل العلم.

فالأمر الأول: أن يصبر الإنسان على الطاعة؛ لأنها ثقيلة على النفس وثقيلة على البدن، مثل الصبر على المشقة المالية عند الزكاة والصدقة .. وغيرها.

أما الأمر الثاني: فيتعلق بترك المعاصي، والبعد عن انتهاك محارم الله؛ فيحبس الإنسان نفسه إلا عما يرضي الله ﷻ، ويحتاج ذلك إلى مجاهدة في ترك الهوى.

أما الأمر الثالث: فهو الصبر على البلاء، وإن كان أليمًا شديدًا فعلى المسلم ألا يسخط بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه، وعليه أن يصبر ، كما عليه أن يرضي بأن يكون صابرًا؛ كأن لم يصبه شيء، وعندما يمر بهذه المراحل يصل إلى مرحلة الشكر، وكان الرسول الكريم ﷺ إذا رأى ما يكره يقول: «الْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٧١) .

ومن المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس؛ فمنهم من وفى نذره؛ فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحُسْنَيين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه، ولا بدلوه، كما يغير المنافقون عهودهم ؛ أي : أن هناك صدقًا مع الله ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) لأجل هذا، انظر إلى رسول الله ﷺ، وهو منتظر لفرج كبير من الله - جل في علاه - حتى يأتي الفرج والفتح بأمر الله تعالى وفضله ، ويبشرنا بهذا فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ الله فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»(١).

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمُ الْأَمْصَارُ، وَسَتكُونُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، تُقْطَعُ عَلَيْكُمْ فِيهَا بُعُوثٌ فَيَكْرَهُ الرَّجُلُ مِنْكُمُ الْبَعْثَ فِيهَا، فَيَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ يَتَصَفَّحُ الْقَبَائِلَ، يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ: مَنْ أَكْفِيهِ بَعْثَ كَذَا، مَنْ أَكْفِيهِ بَعْثَ كَذَا؟ أَلَا وَذَلِكَ الْأَجِيرُ إِلَى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ»(٢).

وبفضل الله تعالى فُتِحَت جميع هذه البلدان التي بشر بفتحها المعصوم ﷺ.

لقد كان رسول الله ﷺ يعيش مرحلة الانتظار والبلاء ، بل وكان صلوات الله عليه وسلامه يشدد عليه في البلاء حتى في حالة مرضه.

إن الإنسان في هذه الحياة يصبر لأجل الله تعالى ويرضي لأجله ﷻ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (النحل: ١٢٧) أي: اصبر أيها الرسول الكريم على ما أصابك من أذى في سبيل الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب: فَضْل الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، رقم الحديث ١٩١٨.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الجهاد ، باب: في الجعائل في الغزو، رقم ٢٥٢٥ .

العزيز، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم من مكرهم وكيدهم؛ فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

لقد أراد الله تعالى للمؤمنين أن يصبروا حتى يكون جزاؤهم كل خير ، وأن الملائكة تكون أول من تبشرهم بالجنة وبحسن الثواب حيث يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٤)، أي: تقول الملائكة لهم: سلمتم من كل سوء؛ بسبب صبركم على طاعة الله تعالى، فنعم العاقبة : الدار الجنة؛ لأجل ماذا؛ لأجل صبركم .

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

أي: قال موسى لقومه من بني إسرائيل: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم. فإن الأرض كلها لله تعالى يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله؛ فامتثل لأوامره واجتنب نواهيه.

إن الأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده، ولكنهم كانوا متعجلين، يريدون فوزًا سريعًا، وفرحًا قريبًا كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٩). قال قوم موسى- من بني إسرائيل - لنبيهم موسى: ابتلينا، وأوذينا بذبح أبنائنا، واستحياء نسائنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا، قال موسى لهم: لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم؛ فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أم تكفرون؟

هؤلاء المستضعفين في انتظار الفرج، وبعد فترة وجيزة بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض، ماذا حدث؟! قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

أي: وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يستذلون للخدمة في مشارق الأرض ومغاربها ، وهي: بلاد الشام التي باركنا فيها: بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت بالتمكين لهم في الأرض؛ بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، بل ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور... وغير ذلك.

وما تحولوا من هذه الحالة التي كانوا فيها ضعفاء ومغلوبين إلى حالة انتصار وارتفاع إلا بما صبروا، وما النتيجة؟ ﴿ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧) لأجل هذا فإن بنى إسرائيل عندما صبروا كما علمهم سيدنا موسى عليه السلام ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ والنتيجة، في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

إن خير المسافرين في رحلة الحياة هو الحبيب ﷺ وأمثلة صبره لا حصر لها، ونرى مثلا لذلك عند مرضه ﷺ فإنه كان يتألم، ويشتد عليه المرض، وكان مرضه ﷺ يعادل مرض رجلين ، فعَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : المرضى ، باب: شدة المرض ، رقم : ٥٦٤٧ .

إن الإنسان في هذه الحياة يزداد عليه البلاء؛ لأجل ماذا ؟ ليس لأن الله تعالى غاضب عليه، بل لأن الله تعالى يريد أن يُمَحِّصه ويختبره، فالبلاء يشتد على هذه الأمة؛ لأن الله تعالى يريد أن يختبر هذه الأمة ويمحصها .

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وأن الله تعالى هو الذي رتب هذا - وإنا لله وإنا إليه راجعون- كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ ﴾ (البقرة: ١٥٥،١٥٦).

ولنختبركم بشيء يَسِيرٍ من الخوف ، ومن الجوع ، وبنقص من الأموال بتعسر الحصول عليها أو ذهابها ، ومن الأنفس : بالموت أو الشهادة في سبيل الله ، وبنقص من ثمرات النخيل والحبوب ، بقلة نتاجها أو فسادها ، وبشر - أيها النبي الكريم- الصابرين على هذا، وأمثاله بما يُفْرحهم ويَسُرُّهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة. ومن صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه ، قالوا: إنا عبيد مملوكون لله ، مدبرون بأمره وتصريفه ، يفعل بنا ما يشاء ، وإنا إليه راجعون له بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء .

إن الله ﷻ هو من يريد أن يرفع درجتك في جنات العلا ، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ ﷺ : «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

إن المؤمن المسافر في هذه الرحلة الصعبة القصيرة في حاجة إلى السكينة فمن الذي يجعلك في حالة هدوء، وسكينة، وإيمان، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح: ٤)؛ أي: هو الذي أنزل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: التوبة ، باب : قبول التوبة من الذنوب ، رقم ٢٧٥٩ .

السكينة في قلوب المؤمنين؛ لكى يزدادوا إيمانًا؛ لأن المؤمن يُواجِه في هذه الحياة تعبًا كبيرًا من مجاهدة، ومن تربص المنافقين به والكفار وكيدهم لبلائه؛ ولذلك فإن ضعيف الإيمان يُسْتَخف به؛ لأجل هذا، فأنت في حاجة إلى سكينة، أما الغافل فليس في حاجة إلى سكينة؛ لأن قلبه لا يوجد به مكان لاستقبال تلك السكينة؛ فالسكينة مثل الأرض، ومثل أن يسكن الماء في الأرض؛ أي: في مكان متعطش ومستعد لاستقبال هذا الماء، والسكينة تأتى من الله تعالى؛ فتسكن في قلبك، وتجعلك هادئًا غير مضطرب، وغير فزع، وغير متسرع .

وفي نهاية هذا المبحث "الصبر" هناك بعض العوامل التي تعينك على طاعة الله ﷻ وتجعلك من الصابرين ، ومنها :

١- الدعاء بالصبر، وهو (سلاحك الذي لا يصدأ).

٢- البعد عن مواطن الفتن .

٣- الإغلاق على الحواس من جانب الفتن، وخاصة حواس "النظر والسمع، والشم واللمس" وهي الحواس التي لها طرق رئيسة إلى القلب.

٤- الزيادة في الطاعة، فإن الحسنة تولد الحسنة، والسيئة تولد السيئة والإيمان يزيد وينقص، فأتبع السيئة الحسنة تمحها حتى لا تذل بمعاصيك إلى بئر الضياع والنسيان .

٥- مجاورة الصالحين، ومصاحبة الأتقياء .

ولنعلم أن الصبر مفتاح من مفاتيح الجنة وهو الطريق إلى تقوى الله عز وجل والهادي إليه وقد أمرنا به ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣) ، وقال الله سبحانه تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

خامسًا : التقــوى .

إن الإنسان إذا أراد أن يسافر إلى مكان ما، فإنه لا بد وأن يُجَهِّزَ ما يحتاجه من زادٍ ليستعين به على رحلته من طعام وشراب ، ومال وملبس ، ولهذا كان لابد للمهاجر إلى الله ﷻ من زاد، وقد أرشدنا الله تعالى إلى أن التقوى هي زاد المهاجر إليه، وأن هذا الطريق لا يُعْرَف متى نهايته، ومن هنا فإن المهاجر إلى الله تعالى عليه أن يعمل لتحصيل هذا الزاد، وهو زاد التقوى، ولهذا كان موضوعنا حول كيفية بلوغ هذا الزاد، و دوره في نجاح الهجرة إلى الله تعالى .

إن التقوى واجبة لمن أراد مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ، وأعلن عداوته للشيطان وأعوانه، وهي غاية للأولياء مكتوبة، وعن المحرومين من ذوى الغفلة محجوبة، فهي النجاة والسعادة لمن أرادها كما أنها هي الشقاء والتعاسة لمن غفل عنها، وإنها السبيل الوحيد الذي يجب أن يُسْلَكَ، والخطوة المهمة التي يجب أن تُخطى، ولهذا نعرض سؤالاً ، وهو كيف نتقى الله ﷻ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتلخص في خمسة أسباب توصل إلى تقوى الله ﷻ.

١- محبة الله ﷻ: لأن من يحب لا يخالف أوامر من يحب، وهذا ما يظهر بين الناس، فماذا لو كان من تحبه ليس كمثله شيء؟! مثل قول الإمام الشافعي ﷺ:

تَعْصَي الإِلَهَ وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه ... هَذَا لَعَمرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيـعُ
لَوْ كَانَ حُبُّك صَادِقًا لأطَعْتَه ... إنَّ الْـمُحِـبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيع[1]

هو الذي يدير شئونك، ويختار لك الخير، ويفيض عليك النعم والخيرات التي لا تحصى، ويتجاوز عن السيئات ويغفرها لك ، إذن فلابد من المُحِبِّ أن

---

(١) (نضرة النعيم في مكارم الاخلاق) ، باب: من الآثار وأقوال العلماء ، من آثار الإمام الشافعي ﷺ.

يعرف من يحب، وما صفاته؟ فيجب عليك أن تعلم من هو الله- جل في علاه- كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ (محمد: ١٩) وكما قال النبي الكريم محمد ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بالله وَأَشَدُّكُمْ لَهُ »[1] ومن أهم ما يجب أن يعلمه المهاجر أن الله تعالى يقضي شئون عباده جميعًا، وأنه غالب على أمره، ونحن نستجير به تعالى ونقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: أستجير بالرب ذي القوة والجبروت، وأحتمى بربى؛ ليحمينى ويجيرنى، وهذا توحيد الربوبية .

كما أن الله تعالى هو الخالق وصاحب النعم كلها ، فهو إله الكون الذي تُصْرَفُ إليه العبادةُ من تقرب وصلاة وتوسل، ليس لأحد سواه وهذا توحيد الألوهية.

أما معرفة الله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته فهذا هو التوحيد الذي يجب علينا أن نركز عليه، وأن نجعله يلازمنا في كل عمل نقوم به، فنعلم أنه سميع يسمعنا، وبصير يرى ويعلم حالنا، وهو الودود الذي يتودد إليك، وهو الغفور ذو الرحمة، وهو الرءوف الرزاق، وهو الباسط الواسع، وبذلك فإن حبنا لله ﷻ يزداد، وأعرف الناس لله ﷻ أكثرهم حبًّا له، وأكثرهم خشية منه، ومن وسائل معرفة العبد بالله تعالى: أن يتدبر العبد نعم الله ﷻ عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم: ٣٤) فمهما تدبر العبد نعم الله ﷻ عليه فإنه لا شك يزداد حبًّا لله ﷻ؛ لأن القلوب جُبِلَت على حب من أحسن إليها، وبُغْضِ من أساء إليها. ومن ذلك: الخلوة بالله ﷻ وترجي عفوه ؛ لنيل مرضاته كما جاء في حديث النبي ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[2].

---

(١) ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، (١ / ١٥٧) .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: النداء للصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، رقم٧٢٤.

فالخلوة بالله ﷻ في هذا الوقت تزيد العبد حبًّا لله ﷻ ومراقبة له، ومن ذلك: قراءة القرآن الكريم مع التدبر في معانيه والتفكر في آياته ، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢).

وأيضًا من أسباب محبة الله ﷻ: التفكر في مخلوقاته ﷻ، وعظمة إبداعها وخلقها ؛ لأن معرفة عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق ﷻ. ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١).

وأيضا تقديم ما يحب الله ﷻ على ما تحب النفس الإنسانية عند غلبة الهوى، ومن ذلك: أن يترك العبد كل سبب يحول بينه وبين محبة الله ﷻ، مثل: مجالسة أصحاب الهوى وأصحاب الملذات والشهوات...إلخ.

٢- استشعار العبد قرب الله ﷻ منه ومراقبته إياه: وهو أن يستشعر العبد قرب الله ﷻ منه ومراقبته لأقواله وأفعاله؛ امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨)، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد: ٤)، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦).

وقد مثل العلماء لذلك فقالوا: لو أن هناك ملكًا جبارا شديد البطش، وهذا الملك أمامه بناته وحواريه، فهل يهم أحد بريبة تجاه بنات الملك، وجواريه، والملك ناظر إليه؟ يقول: لا . ولا شك أن الله ﷻ أعظم من هذا الملك، وأشد بطشًا، وأكثر غيرة من هذا الملك على حرماته ﷻ، وهو ﷻ العليم بما في الصدور، فينبغي للعبد أن يتقي محارم الله ﷻ.

٣- التدرب على مخالفة الهوى وطاعة الله ﷻ:

قال الإمام الشافعي ﷺ:

إِذَا مَـا خَلَـوْتَ الدَّهْـرَ يَوْمًــا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَـنَّ اللهَ يَغْفُـلُ سَاعَــةً وَلَا أَنَّ مَــا يَخْـفَى عَلَيْـهِ يَغِيـــبُ
غَفَلْنَا الْعُمْرَ وَاللهِ حَتَّى تَدَارَكَتْ عَلَيْنَــا ذُنُــوبٌ بَعْدَهُــنَّ ذُنُـــوبُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللهَ يَغْفِــرُ مَــا مَضَى وَيَــأْذَنُ فِـي تَوْبَـاتِنَـا فَنَتُــوبُ[1]

فيجب عليك أيها المهاجر أن تجاهد نفسك، وأن تعرفها جيدًا، وتعرف ما يجب أن يلازمها من الخوف والرجاء؛ لتصل بك إلى مرتبة المُتَّقِين الأبرار، ويجب أن تعلم أن الدنيا قصيرة الأمد، والأيام فيها قليلة، والساعات بها معدودة، فهيا قف وابدأ، وحاول وجاهد، واستعن بالله تعالى على الشيطان وشركه.

٤- معرفة شؤم المعصية:

للمعصية ظلمةٌ في الوجه، وسوادٌ في القلب، وعذاب في الدنيا، وهلاك في الآخرة، كما أن المصائب سببها كثرة المعاصي والذنوب، فيقول الله جلَّ في علاه ﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، وقال أيضًا جلَّ وعلا ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾ (النساء: ١٢٣) كذلك أيضًا ، فإن هلاك الأمم السابقة كان من آثار ذنوبهم وتجاوزهم الحد، فكم من أمة جنت الحسرة والخيبة والشقاوة بعدما شاهدت العبادة والسيادة، فبالله عليك من أغرق قوم نوح حتى علا الماء رءوس الجبال؟ ومن أخرج الأبوين من الجنة؟ ومن طرد إبليس وبدل القرب بعدًا، ومن أهلك عادًا بالريح العقيم؟! ﴿ **سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ (الحاقة: ٧) ومن أرسل على ثمود الصيحة، فقطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟ ومن أرسل على قوم شعيب

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩ / ٤١٧) .

سحب العذاب، فلما صار السحاب فوق رءوسهم أمطرهم نارًا تلظى؟ ومن حمل قرى اللوطية إلى السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم عاليها سافلها، ثم أمطرهم حجارة من سجيل منضود ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الذريات: ٣٤)، ولإخوانهم أمثالها ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٨٣) ومن أرسل على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والذرية، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٧) ومن أغرق فرعون وجنوده، وأرسل أرواحهم إلى النار؛ فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، ومن أهلك القرون من بعد نوح ودمرها تدميرًا ؟! كل ذلك بسبب الذنوب والمعاصي، فاعلم أيها المهاجر أن اللذة مهما طالت فهي قصيرة، وتبقى آثارها مسمومة، وتسوء عاقبتها، فتذكر قبل القدوم على المعصية أن لها جزاءً: وهو الجحيم والإغلال، والذل والهوان.

اللهم عافنا واعف عنا، وأجرنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

٥- معرفة مكائد الشيطان، ومصائده، والحذر من وساوسه:

يجب عليك أيها المهاجر أن تعرف عدوك الذي يريد عذابك، ويسعى إلى هلاكك، فيقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: ٦) ولهذا فإنه يجب عليك الحذر؛ لأن الشيطان يلازمك: لا ينام عنك ولا يغفل عن حربك، ويعمل بجد ونشاط من أجل الإطاحة بك في النار، فعليك أن تستعين بالله ﷻ على الشيطان الرجيم، وأن تدفع خطراته، كما قال أحد العلماء:"دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة فدافعها، فإن لم تفعل صارت إرادة فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة فحاربها؛ فإن لم تفعل صارت فعلاً".

فالعبد ينبغي له أن يشغل نفسه دائمًا بطاعة الله ﷻ حتى لا يكون محلا للوساوس، كما قيل: "إذا غفل القلب ساعة عن ذكر الله جثم عليه الشيطان،

وأخذ يَعِده ويمنيه، فإن كان العبد مشغولاً بالطاعة والعبادة لا يكون عند ذلك محلاً للوساوس .

فينبغي أن يشغل العبد نفسه دائمًا بطاعة الله تعالى، وأن يكون دائمًا مع الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

فإن حدثت للعبد غفلة ووسوسة من الشيطان بمعصية؛ فينبغي له أن يتذكر الاستعاذة بالله العلي العظيم؛ فيحتمي بعظمة الله تعالى من الشيطان الرجيم، ثم ينبغي له أن يتحصن بالتحصينات الشرعية، مثل: قراءة آية الكرسي عند النوم، وقراءة آخر سورة البقرة. وكذلك المداومة على ذكر أذكار الصباح والمساء ، ومن ذلك أيضا أن يحافظ على وضوئه دائمًا وأذكار الوضوء، وعليه أيضًا أن يترك فضول الكرم وفارغه ، وفضول المخالطة، وبهذا تتحقق الخطوة الأولي في طريق هجرتك المباركة إلى الله ﷻ.

٦ - قصر الأمل :

إذا أراد المهاجر أن يُقَصِّرَ على نفسه طريق الهجرة، ويمضي سريعًا في طريقه؛ فيجب عليه أن يعلم أن طريقه سَيُملأ بالفتن والعوائق والشياطين، ولا بد أن يعلم أن طريقه إلى الآخرة قصير، وأن أيامه وساعاته معدودة، وأمله في البقاء ضعيف، وعليه أن يستعد لنهاية الطريق ومقابلة العزيز الوهاب بالمجاهدة والصبر.

نعم، أخي المهاجر الكريم، إنها لهجرة قصيرة، فيجب عليك أن تخطو هذه الخطوة المباركة سريعًا حتى لا ينالك قصر الأمل، وهو قرب الرحيل وحتى لا تكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣). أي: ذرهم لا يهتمون إلا بالطعام والشراب، ويلهيهم طول الأمل، واستقامة الحال عن الاستعداد للآخرة، قال ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝ ﴾ (الزمر:٥٥-٥٧).

إن طول الأمل يجعلك تُسَوِّف العمل؛ أي تقول: سوف أفعل ، ويغدر بك الزمن ، ولا يتركك الأجل لتفعل ما كنت تنوي فعله بعد حين ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لابن عمر عن رواية عبد الله بن عمر ﷺ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[1].

فقوله ﷺ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وقال في هذا الحسن ﷺ «الْـمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، وَلَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّـهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ ، وَجِّهُوا هَذِهِ الْفُصُولَ حَيْثُ وَجَّهَهَا الله»[2]؛ ويقول ابن القيم رحمه الله:

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الأولَى وفِيِهِمُ الْـمُخَيَّمُ

ولَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدوِّ فَهَلْ تَرى ... نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنسْلَمُ

وَقَدْ زَعَمَوا أنَّ الْغَرِيبَ إذَا نَأى ... وَشَطَتْ بِه أَوْطَانُهُ فَهُو مُغْرَمُ[3]

إن أهل الإيمان غرباء في الدنيا؛ ولكنهم أهل جنة، وهم ليسوا من أهل الدنيا أو ممن صارت الدنيا لديهم أكبر همهم ومبلغ علمهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الرقاق ، باب: قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، رقم (٦٤٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٨٩).

(٣) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (١ / ٣٢٧).

وقال النبي ﷺ: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (١).

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَابِدُ، قَالَ: قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً، قَالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ تُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: تَعْلَمُ مَا تَقُولُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: قُلْتُ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَالَ الْفُضَيْلُ تَعْلَمُ مَا تَفْسِيرُهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَسِّرْهُ لَنَا يَا أَبَا عَلِيٍّ، قَالَ: قَوْلُكَ إِنَّا للهِ، تَقُولُ: أَنَا للهِ عَبْدٌ، وَأَنَا إِلَى اللهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَسْئُولٌ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ: يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذْتَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ (٢).

عن أبي عَبْدِ اللهِ ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَتَى يَبْلُغُ الرَّجُلُ غَايَتَهُ مِنْ حُبِّ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: «إِذَا كَانَ عَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ إِيَّاكَ عِنْدَكَ سَوَاءٌ فَقَدْ بَلَغْتَ الْغَايَةَ مِنْ حُبِّهِ».(٣)

أسباب طول الأمل:

لطول الأمل أسباب، ويمكن تلخيصها في سببين رئيسين:

١- حب الدنيا: وهي أن يتمني المرء أن يعيش فترات طويلة؛ لينعم بنعيمها ويحاول الوصول إلى الشهرة والسلطان، فهو يكره الموت ؛ لأنه لا يهمه إلا أن يجهز ما يحتاجه في هذه المدة الطويلة من أموال وجاه ؛ فيعمل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة ، باب : مسند عبد الله ابن مسعود ، رقم ٣٧٠٩ .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٣) .

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٣).

ما يوافق هواه وينسي ما قدمت يداه؛ ولأنه كذلك فهو يطمئن بالدنيا، ولا يريد الانقطاع عن الدنيا التي بذل من أجلها الكثير.

٢- الجهـــل: وهو أن يجهل المرء لماذا خُلِقَ، وأن كل يوم يمر به فإنه من عمره، وأن يجهل ويظن أن الموت لا يأتيه إلا في الشيخوخة.

علاج طول الأمل:

١- النظر إلى الآخرة والتفكر فيها: فعليك أخي الكريم أن تنظر بعين البصيرة؛ لترى الآخرة القريبة منك، والمنية المسرعة إليك، ولا بد من أن تعمل لتحصل على نجاتك من الحساب، وتحاول أن تسابق فيما فات عنك، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر: ١٨).

٢- ذكر هادم اللذات (الموت):

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»(١) وهو الموت الذي يزلزل العباد، ويزيل آمال المسوفين، ويقضي على شهوات العاصين.

قال الإمام الحسن البصري: "فَضَحَ الْمَوْتُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتْرُكْ لِذِي لُبٍّ فِيهَا مَرْحًا"(٢). وانظروا إلى أحد الحكماء العظام الذي يقول: "ألا ترون أنكم تشيعون في كل يوم غاديًا رائحًا إلى الله تعالى قد قضى نحبه، وانقطع أمله؛ فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب وواجه الحساب".

ولهذا أقول لك أيها المهاجر الكريم "أدم على ذكر الله تعالى، وعلى ذكر الموت، وترك الدنيا، وشهوات النفس؛ حتى ينقطع ركونك إلى هذه الدنيا

---

(١) مسند الشهاب القضاعي (١ / ٣٩١).

(٢) إحياء علوم الدين (٤ / ٤٥١).

الزائفة الزائلة ، ويروى عَن سيدنا عِيسَى ﷺ، (أنه قَالَ حب الدُّنْيَا رأس كل خَطِيئَة) ، وأنفع مَا عالج بِهِ الْـمُؤمن فِي أمْر دينه - قطع حب الدُّنْيَا من قلبه فَإِذا فعل ذَلِك ؛ هان عَلَيْهِ ترك الدُّنْيَا وَسَهل عَلَيْهِ طلب الْآخِرَة وَلَا يقدر على قطعه إلا بأداته أما أني لَا أقول أداته الْفقر وَقلة الشَّيْء وَكَثْرَة الصّيام وَالصَّلَاة وَالْحج وَالْجهَاد ، وَلَكِن أصل أداته الْفِكر وَقصر الأمل ومراجعة التَّوْبَة ، وَالطَّهَارَة وإخراج الْعِزّ من الْقلب ، وَلُزُوم التَّوَاضُع وَعِمَارَة الْقلب بالتقوى وإدامة الْحزن وَكَثْرَة الْهم بِمَا هُوَ وَارِد عَلَيْهِ [1].

ولا يعينه على الوصول إلى تلك المراتب العالية إلا الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والإنابة إليه ، وهذا بابنا التالي .

سادسًا : الدعــاء .

عندما يصعب على الإنسان أمر، ويشتد عليه فإنه يتوجه إلى من يعينه عليه ومن يصبره، ومن يقضي حاجاته، وكذلك فإن طريق الهجرة طويل وتملؤه الصعوبات والشدائد والبلايا، فيجب على السالك لهذا الطريق أن يستعين بمعين يعطيه القوة والعزيمة ...

كما أنك إذا أردت أن تسلك طريق الهجرة بسلام فعليك بالدعاء ؛ فإنه سلاح المؤمن فليس مع الدعاء هالك، كما قال الله تعالى عن زكريا ﷺ: ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤) وقال عن الخليل إبراهيم ﷺ ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤٨).

إنها بشري لمن أراد النجاة والخلاص من العذاب الهوان، والهم والحزن والضيق، والعسر، والبلاء؛ لأن هذا الدعاء ليس مقتصرًا على الأنبياء فحسب، وإنما هو لكل من كان عبدًا لله تعالى فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

---

(١) آداب النفوس للمحاسبي (١ / ١٣٦)

وقال الرسول الكريم ﷺ فيما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ فَهُوَ مِنْ دَعْوَتِهِ عَلَى إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ تُدَّخَرَ (يُؤَخَّرَ) فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُ مِنَ الْبَلَاءِ مِثْلُهَا»(١).

وقال أيضًا سيدنا رسول الله ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

ولا تستكثر دعوتك إلى الله تعالى، فإنه ﷻ قال: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ (الحجر:٢١) وقال ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٦٥).

وللدعاء آداب ومن أهمها:

١- التأدب والخشوع والمسكنة: فأما ما يدل على التأدب: حديث النبي الكريم ﷺ : فعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »(٣).

وأما ما يدل على الخشوع: ما رواه ابن أبي شيبة من قول مسلم بن يسار: "لَوْ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَسَرَّكَ أَنْ تَخْشَعَ لَهُ"(٤).

وأما ما يدل على المسكنة: ما ورد عن النبي ﷺ في أحاديث الاستسقاء.

وهو أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الصغير (٢ / ١٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: التوبة ، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، رقم : ٢٧٥٩.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٩٧٣) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨ / ٣١٥).

٢ - ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» (١).

٣ – إصابة أوقات الإجابة: وأفضل أوقات الإجابة هي:

أ – جوف الليل:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ» (٢).

ب – نصف الليل الثاني وثلثه الأخير:

فعن رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(٣).

وكما قال رسول الله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ، فيقول دعوت فلم يستجب لي ، رقم (٢٧٣٥) .

(٢)أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم : ٣٤٩٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، رقم ٧٥٧ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : الدعوات عن رسول الله ﷺ باب : ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم ٣٤٩٨ .

ج - ليلة الجمعة، ويوم الجمعة، وساعة الجمعة:

عَنْ أَبِي هُـرَيْـرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ : «فِي الجُمُعَةِ سَاعَـةٌ ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَأَلَ اللهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ، وَوَضَعَ أُنْمُلَتَهُ عَلَى بَطْنِ الوُسْطَى وَالخِنْصِرِ، قُلْنَا: يُزَهِّدُهَا »[1] .

د - بين الآذان والإقامة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»[2].

هـ - عند تلاوة القرآن:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِئٍ يَقْرَأُ، ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ» [3] .

و - يوم عرفة:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[4].

ز - شهر رمضان :

لقوله ﷺ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: الطلاق ، باب: الإشارة في الطلاق والأمور ، رقم ٥٢٩٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: الصلاة، باب: مَا جَاءَ فِي أَنَّ الدُّعَاءَ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ ، رقم ٢١٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: فضائل القرآن ، باب: منه ، رقم ٢٩١٧ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: الدعوات عن رسول الله ، باب: في دعاء يوم عرفة ، رقم ٣٥٨٥ .

اللهِ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»(١).

ح – في السجود:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» (٢) .

ط – عند صياح الديكة :

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا» (٣) .

وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات :

أولاً: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

ثانيًا: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء؛ فيصاب به العبد، ولكن يخففه، وإن كان ضعيفًا.

ثالثًا: أن يتساوى الاثنان فيتقاوما ويمنع كل منهما صاحبه .

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب: الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب: في العفو والعافية ، رقم ٣٥٩٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، رقم٤٨٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : بدء الخلق ، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم ٣٣٠٣.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (١ / ٣٣) .

ويجب على المسلم أن يتأدب في دعائه بأمرين :

١ - الإلحاح في الدعاء: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ» "(١).

٢ - عدم استعجال الدعاء: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي »(٢).

آداب الدعاء :

١ - تجنب الحرام مأكلا ومشربًا.

٢ - تقديم عمل صالح: ويدل على ذلك القصة الشهيرة عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة .

٣ - الوضوء: يقول ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى الله، أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، أَسْأَلُكَ أَلَّا تَدَعَ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا لِي، ثُمَّ يَسْأَلُ الله مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا شَاءَ، فَإِنَّهُ يُقَدَّرُ »(٣).

٤ - الثناء على الله تعالى: فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا الله،

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الدعوات ، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل ، رقم ٦٣٤٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (١ / ٤٤١) .

والله أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بالله، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ »(١).

كما أخرج الطبراني عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ الله شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، والله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله »(٢).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، قَالَ: «قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ»(٣) ، وفي الحديث دليل على أن استفتاح الدعاء بقول: «يا ذا الجلال والإكرام» سببٌ في الإجابة بفضل الله تعالى.

فاحرص أيها المهاجر على سلاحك (الدعاء) والصلاة والسلام على أفضل من دعا إلى خالقه وعلى آله وصحبه وسلم .

سابعا : التوكل على الله تعالى والثقة به :

إن المهاجر إلى الله تعالى لا بد له من معين في هجرته ، ويجب أن يعلم أن الموفق من وَفَّقَه الله تعالى ، وأن الخاسر هو من اعتمد على نفسه واعتز بنفسه؛ فتهلكه نفسه؛ ولذلك لا بد للإنسان من مقام التوكل على الله ﷻ، والتوكل ليس كلمة يرددها الإنسان بلسانه، بل التوكل هو نهاية تحقيق التوحيد، فهو صدق اعتماد القلب على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب .

إن الثقة بالله تعالى أعلى من التوكل عليه ؛ ولذلك فإننا نبدأ خطوة التوكل أولاً ؛ استجابة لأمره تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجمعة ، باب: فضل من تعار من الليل فصلى ، رقم ١١٥٤ .

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٨/ ٢٧٩) .

(٣) أخرجه أحمد في سننه ، تتمة مسند الأنصار ، باب: حديث معاذ بن جبل ، رقم الحديث : ٢٢٠١٧ .

(المائدة : ٢٣) وأمر به رسوله وحبيبه ﷺ ، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٣).

إن التوكل على الله أساس العبادة؛ ولذلك فإن أعلى الناس توكلاً على الله أكثرهم حبًّا له ﷻ؛ لأن معرفة الله ﷻ بأنه هو المجير، وهو الرحيم، وهو الهادي القوي العليم ، لو اعتقدها كل إنسان حق اعتقادها لكانوا متوكلين .

والتوكل هو الاستسلام لله تعالى، وتفويض الأمر إليه اعتمادًا ووثوقًا به؛ وذلك لقدرته ﷻ والاعتماد عليه لعلمه وقدرته .

كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨) ثم تأتي الثقة بالله تعالى لترتفع بالمؤمنين إلى مراتب التسليم الكامل، والذي نراه في حياة الأنبياء والمرسلين والصديقين ، وهي الثقة التي ملأت قلب أم موسى عليهما السلام ، وهي تلقي ولدها في البحر استجابةً لأمر الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧) فالثقة بالله تعالى جعلتها تسارع لتلقي ولدها في اليم، فكان جزاؤها أن حفظه الله تعالى لها، وألقى ﷻ محبته في قلب امرأة فرعون، فحين نظرت إليه امرأة فرعون قالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ (القصص: ٩) إنها ثقة التوكل على الله تعالى ، وأكثر من ذلك بأن حرَّم الله تعالى عليه المراضع؛ لترضعه أمه ويرد إليها مرة أخرى، وبذلك كانت نتيجة التوكل على الله تعالى أن تجلس أم موسى عليهما السلام في قصر فرعون، وتربي ولدها في كنف ورعاية فرعون نفسه وبأمره وهو من كان يُخشَى منه ومن بطشه.

إنها ثقة الحبِّ في الله تعالى وثقة المعرفة به، والتي ألقاها الله تعالى في قلب إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وأنزل له القوي المتين جبريل عليه السلام وهو يقول ألك حاجة؟ فيرد إبراهيم عليه السلام بثقة في الله تعالى: «حسبي الله ونعم الوكيل» وهي الثقة التي ملأت قلبه عليه السلام حين أخذ السكين، وأخذ ولده

ليذبحه: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾
فيرد إسماعيل بثقة أيضا: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

اللهم ارزقنا توكلاً عليك بثقة الأنبياء والمرسلين حيث تقضي به حاجتنا يارب العالمين ، اللهم استجب لنا واجعلنا من الأبرار ، ولا تهلكنا بسوء ظننا بك يا أرحم الراحمين.